مرتكزات التّواصل اللّغويّ وأسسه في الدّرس البلاغي بين الجاحظ وأبي هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني: دراسة تحليليّة مقارنة

Title in English The foundations and foundations of linguistic communication in the rhetorical lesson between Al-Jahiz, Abu Hilal Al-Askari, and Abdul Qahir Al-Jurjani: A comparative analytical study

د. أمال أورابح♥

المُعرّف الرّقميّ للمقال:DOI 2025 10.33705/0114-027-004-013

تاريخ الاستلام:20-04-2025-تاريخ القبـول:01-05-2025-تاريخ النّشر: 15-12-2025

ملخّص: إنّ الهدف من هذه الدّراسة هو الكشف عن قضايا التّواصل اللّغويّ في الدّرس البلاغي من خلال الإحاطة بطرائق التّواصل الصّحيح للّغة في إنتاج الأدب بمختلف أشكاله من منظور ثلاثة أسماء بارزة من أعلام البلاغة العربيّة وهم: الجاحظ، وأبو هلال العسكري، وعبد القاهر الجرجاني. بالمقارنة بين آراء كل واحد منهم حيث التّشابه والتّقاطع أو الاختلاف في وجهات النّظر. حيث أثبت هؤلاء أهميّة التّواصل في اللّغة ومدى تأثير هذا الأخير في تبليغ المقاصد وفهم المتلقي لمحتوى المضامين.

كلمات مفتاحيّة: التّواصل اللّغويّ؛ الدّرس البلاغي؛ مرتكزات؛ أسس؛ تحليل ومقارنة.

♥جامعة الجزائر2، الجزائر، البريد الإلكتروني: amel.ourabah@univ-alger2.dz (المؤلّف المرسل).

Abstract: The aim of this study is to reveal the issues of linguistic communication in the rhetorical lesson by taking stock of the methods of correct language communication in the production of literature in its various forms from the perspective of three prominent names of Arab rhetoric, namely: Al-Jahiz, Abu Hilal Al-Askari, and Abdul Qaher Al-Jurjani, by comparing the opinions of each of them. One in terms of similarity, intersection or difference in viewpoints. They demonstrated the importance of communication in language and the extent of its influence in conveying the objectives and the recipient's understanding of the contents.

Keywords: linguistic communication - rhetorical lesson - foundations - foundations - comparative analytical study

1. مقدّمة: اهتم الدّرس اللساني الحديث العربي منه والغربي بالتّواصل من حيث التّعريف به والحرص على تبيان مفهومه الدّقيق وأنواعه وأشكاله وتجلياته وكذا التّنويه بذكر أهميته ضمن إطار عمليّة التّخاطب المختلفة سواء المنطوقة منها أم المكتوبة. غير أنّ هذا الاهتمام كلّه نجد له مثيلا، بل سبقا في الطّرح زمنيا في تراثنا اللّغويّ العربي، حيث اهتم السّلف من اللّغويّين والأدباء والبلاغيين وحتّى النّقاد به، فخصّوه بالدّراسة والاهتمام ورعوه بجملة من الشّروط والمقاييس التي تضمن لمختلف الأطراف المتخاطِبة التّواصل عن طريق الحرص على **حسن الإفهام** و**الفهم**. مؤكّدين في الوقت ذاته أنّ اللّغة ذات خاصيّة تواصليّة، وأنّ وظيفتها الأساس تكمن في التّواصل من أجل التّعبير عن مختلف الأغراض والمقاصد، جاعلين عدم تحقق إيصال المعاني وفهمها راجعا إلى الطّرائق الخاطئة في تأديته، فشكّل هذا الأخير شرطا أساسيا من شروطها منبهين إلى ضرورة وأهميّة إيصال المعنى إلى المتلقي على النّحو الصّحيح.

وبناء على ما ذكرناه، فإنّنا سنعمد في مقالنّا هذا إلى تسليط الضّوء على قضيّة التّواصل اللّغويّ في الدّرس البلاغي عند ثلاثة أعلام أفذاذ بارزة أسماؤهم في السّاحة الأدبيّة والبلاغيّة والنّقديّة، في فترات زمنيّة مختلفة ومتقاربة في الوقت نفسه وهم "**الجاحظ**" (ت255هـ)، و"**أبو هلال العسكري**" (ت394هـ) و**عبد القاهر الجرجاني** (ت471هـ). وذلك بعرض وجهات نظر هؤلاء بخصوص التّواصل البلاغي السّليم وطرائق تحقيقه من حيث مرتكزاته وأسسه عاقدين المنهج المقارن لاكتشاف المتشابه والمختلف في الرّأي بخصوص قضيّة التّواصل وسُبل تحقيقه. منطلقين من الإشكاليّة الآتيّة:

*كيف نظر كل من الجاحظ وأبو هلال العسكري وعبد القاهر الجرجاني إلى التّواصل؟ وهل هناك تشابهٌ أو اختلافٌ في الرّأي؟

هادفين من خلالها إلى ترسيخ مفهوم التّواصل ومبادئه وطرائقه الصّحيحة في التّراث اللّغويّ العربي

2. 1-مفهوم التّواصل: للفظ (التّواصل) مفهومان أحدهما لغوي والثاني اصطلاحي.

- **لغة:** التّواصل مصدر الفعل (تواصل) الذي هو على وزن (تفاعل) المشتق من الفعل الثلاثي (وصل). والمقصود بالتّواصل في اللّغة الاقتران والصّلة والتّرابط والالتئام والبلوغ والانتهاء. فقد جاء في (لسان العرب) لابن منظور(ت711هـ) قوله: «وصل: وصلت الشّيء وصلاً وصلة، والوصل ضد الهجران. وصل الشّيء بالشّيء يصله وصلا وصِلةً وصُلة..... واتّصل الشّيء بالشّيء لم ينقطع. ووصّله إليه وأوصله: أنهاه إليه وأبلغه إياه. والتّواصل: ضد التّصارم» (ابن منظور، د.ت، ص: 726-728.) وإلى ذلك ذهب الفيروز آبادي (817هـ) في (القاموس المحيط): «وصل: وصل الشّيء بالشّيء وصلاً وصُلة بالكسر والضّم، ووصل إليه وصولا ووُصلة وصِلةً: بلغه

وانتهى إليه. وأوصله واتّصل: لم ينقطع... والوُصلة بالضّم: الاتّصال، وكلّ ما اتّصل بشيء فما بينهما وُصلة» (الفيروز آبادي، 2008، ص: 1758).

2.2 اصطلاحا: اهتم اللّغويّون القدامى وكذا المحدثون بالتّواصل اهتماما شديدا، حيث تجلى ذلك عند وضع مفهوم دقيق للغة في القرن الرّابع هجري حيث أبرز هذا الأخير الخاصيّة التّواصليّة للغة بالقول إنها "عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم. (ابن جني، د.ت، الخصائص، ج1 ص:33) فهذا التّعريف يقر بميزة التّواصل في اللّغة عن طريق التّعبير عن أغراض معينة. في حين يُعرفه المحدثون بأنّه عمليّة نقل الأفكار والتّجارب، وتبادل المعارف بين الذّوات والأفراد والجماعات (جميل الحمداوي،2015، ص:6) أو هو عبارة عن "تبادل أدلة بين ذات مرسلة وذات مستقبلة، حيث تنطلق الرّسالة من الذّات الأولى إلى الذّات الأخرى (عمر أوكان،2001، ص:36).

3. عناصر العمليّة التّواصليّة وأغراضها: إنّ نجاح عمليّة التّواصل مرهونة بمدى توفر عناصرها كاملة، حيث يؤدي كل طرف فيها دوره على أكمل وجه تحقيقا لهذه العمليّة. هذه الأدوار سماها "**رومان جاكبسون**" **(Roman,Jacobson)** بـ: **دورة التّخاطب(circuit de la parole)** أين تتفاعل هذه الأدوار من أجل تحقيق هذه الخاصيّة، وانطلاقا منها استطاع استخراج ستة عناصر تعمل على تحقيقها وهي: **المرسل (destinateur) – المرسل إليه(destinataire)– الرّسالة(message) –السّنن(code) – السّيّاق(le contexte)– القناة(canal).** (بومزبر الطّاهر بن حسين،2007 ص:30). كما أنّه في ضوء هذه العناصر السّتة صاغ نظريته الشّهيرة في التّواصل وحدّد الوظائف اللّغويّة، فهو يرى أنّ كل عنصر من العناصر السّابقة يُولد وظيفة لسانيّة تختلف نوعا ما عن الأخرى وترتبط بها في الوقت نفسه وهي كالأتي: الوظيفة التّعبيريّة – الوظيفة الافهاميّة–الوظيفة الشّعريّة–وظيفة ما وراء اللّغة (ميتالسّانيّة)– الوظيفة المرجعيّة – الوظيفة الانتباهيّة. (رومان جاكبسون

1988، ص:27-28-29....32) إضافة إلى ما قلناه يعد التّواصل كذلك عمليّة تتم بين طرفين أو أكثر، يقوم على ثلاث وظائف بارزة تكمن في: **التّبادل (échange)** ***التّبليغ (transfert)** ***التّأثير (impact)** لأنّ المُرسل يسعى إمّا إلى تبادل الخبرات والمعلومات، أو إلى التّبليغ أو الإقناع والتّأثير في الغير. (عزوز أحمد، (د،ت)، ص:7).

3- أنواع التّواصل: ينقسم التّواصل إلى عدة أنواع تتمثل هذه الأخيرة وتحدد وفق: طرفي التّواصل – لغة التّواصل المستعملة – وكذا المجال العلمي الذي ينتمي إليه، وفيما يلي إشارة إلى كل نوع على حدة:

1.3 التّواصل باعتبار طرفيه: كون عمليّة التّواصل تتم بين أطراف، فإنّه يتّخذ شكلين، فإمّا أن يكون ذاتيا شخصيا أو تواصلا مع الغير. وذلك في إطار تواصل الفرد مع الآخرين أو مع الجماعات الأخرى. (جميل الحمداوي ص:5-18) وبالمقابل، فإنّ اللّغة ليست وسيلة للتواصل بين الأشخاص فحسب، وإنّما هي كذلك «وسيلة تواصل بين الفرد وذاته» (فاطمة الطّبال بركة، 1993 ص:208).

2.3 التّواصل باعتبار اللّغة المستعملة لأجله: اللّغة المعبّر بها تكون إمّا منطوقة أو مكتوبة، لذا يتّخذ التّواصل حسبها شكلين هما: «التّواصل بالكلام **(communication orale)**-التّواصل بالكتابة **(communication ècrite)**. فالتّواصل بالكلام أو التّواصل اللفظي، بمعناه الأكثر شيوعا هو التّواصل بالوسائل اللفظيّة بين فردين. وهو من هذا المنطلق يشمل عمليتي بث واستقبال مرسلة له مدلولات معينة تحدِّد بالتّواضع والاصطلاح المسبق بين المرسل والمرسل إليه. وتتم عمليّة التّواصل هذه تبعا للدوافع النّفسيّة – الفيزيولوجيّة للمتكلم، كما تتحقق عبر القناة السّمعيّة والكتابة بمعناها الخاص هي تعبير عن اللّغة المحكيّة (الكلام) بواسطة إشارات خطيّة (مكتوبة)، وذلك

لأغراض شتى منها حفظ الكلام الذي يزول فور إلقائه شفهيا، أو نقله إلى أماكن بعيدة عن المكان الذي أُلقي فيه» (المرجع نفسه، ص:4).

3.3 التّواصل باعتبار المجال العلمي والمعرفي: وهو ينقسم من منظور "جميل الحمداوي" إلى عدة أنواع حسب العلوم المنتميّة إليها والمتمثلة في: التّواصل البيولوجي، والتّواصل الاعلامي، والتّواصل الآلي، والتّواصل السّيكولوجي، والتّواصل الاجتماعي، والتّواصل السّيميوطيقي، والتّواصل الفلسفي، والتّواصل البيداغوجي، والتّواصل الاقتصادي، والتّواصل الثقافي والتّواصل اللساني، والتّواصل الفلسفي، والتّواصل السّيميائي. (جميل الحمداوي 2015، ص:8-9) ويعرف هذا النّوع سمات وخصائص مميزة حسب نوعيّة العلم الذي يندرج فيه وكذا مقتضياته في تحقيق التّواصل ونجاحه.

4- مرتكزات التّواصل عند البلاغيين: بناء على أنواع التّواصل التي حددناها في العنصر السّابق، فإنّنا سنعمل على إسقاط هذه الأخيرة على مؤلفات كل من الجاحظ -أبو هلال العسكري -وعبد القاهر الجرجاني، إذ بالعودة إليها نجد بأنّ البلاغة العربيّة تمتاز إلى حد كبير بهذه الخاصيّة، لذلك عُدّت في إحدى مفاهيمها بأنّها **إيصال المعاني إلى قلب المستمع**، حيث أدرك البلاغيون منذ القدم مدى أهميّة التّواصل في عمليّة التّبليغ والإفصاح عن المقاصد والدّلالات المختلفة ضمن مختلف السّياقات والمقامات التّخاطبيّة. وفيما يلي عرض لكل رأي على حدة:

4-1-التّواصل عند الجاحظ: ركيزة التّواصل اللّغويّ عند الجاحظ من خلال الأعمال الأدبيّة المنتجة من قصص وخطابة أو رسائل تكمن في **البلاغة** وأنّ البلاغة أساسها الأوّل وعمادها المتين هو **البيان**، إذ البيان عنده يشكل آلة التّواصل الحقيقي، حيث أكدّ في كتابه (البيان والتّبيين) البعد التّواصلي للغة معتبرا إيّاه محققا لأغراض المتكلمين من: تبليغ وفهم وإفهام وإقناع وتأكيد وتأثير وغيرها من الأغراض الأخرى. بالوقوف على عناصره محددا عبرها

معايير كل عنصر ودوره في تحقيق البلاغة والبيان بإيصال المعنى بشكل جيّد على النّحو الآتي ذكره:

أ-المُرسل: إنّ المُرسل باعتباره الطّرف الأوّل في التّواصل، فقد خصّه الجاحظ بجملة من الشّروط والمعايير الواجب توفرها فيه، حتّى يتحقق إيصال المعنى إلى متلقيه. سواء أكان المُرسل شاعرا أم خطيبا أم قاصا أم مناظرا أم وصيا، وهذه الشّروط تشمل ما يلي:

أ-1* سلامة الأصوات: يعد الصّوت مهما جدا عند الجاحظ في إعطاء المعاني حقّها من البيان والوضوح، إذ إليه يعود الفضل في الجودة والحُسن أو الرّداءة والقُبح في الكلام، كونه آلة اللفظ التي بها يتم تبليغ المقاصد. (الجاحظ 1998ص:79) فظهور الصّوت دون خلل أو عيب مهم جدا في إيصال المعاني و تحقيق الفهم والإفهام.

أ-2* اجتماع آلة البلاغة في المُرسل: يرى الجاحظ أنه حتى يتسنى تحقق جسر التّواصل بين الأطراف المتخاطِبة لابدّ من اجتماع آليات التّبليغ الصّحيحة في المُرسل، لذلك نجده في معرض حديثه عن الخطابة والخطيب وسبُل بلاغتهما يضرب مثلا بالخطيب الذي يجب عليه امتلاك إمكانات ومؤهلات للإقناع والتّأثير والتّبليغ. إذ عليه أن يكون: رابط الجأش، ساكن الجوارح، قليل اللّحظ، متخيّر اللفظ، مراعٍ لأحوال المخاطبين، حيث لا يكلم سيّد الأمّة ولا الملوك بكلام السّوقة، بل لابد من مراعاة اعتبار الطّبقات. بالإضافة إلى التّدقيق في المعاني كل الدّقّة، أو تنقيح الألفاظ كل التّنقيح أو تصفيتها كل التّصفيّة أو تهذيبها، كون هذه المسائل تسيء للمعنى المقصود إيصاله للطرف الثاني (الجاحظ، 1998ص:92).

أ-3* الإفهام: أساس التّواصل عند الجاحظ باعتبار المُرسل هو الحرص على **إفهام الغير** مع ضمان وصول المعنى قصد الفهم، لذلك يؤكد أهميّة هذا بالقول: «ومدار الأمر على إفهام كلِّ قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على

أقدار منازلهم، وأن تُؤاتيه آلاتُه، وتتصرف معه أداتُه، ويكون في التّهمة لنفسه معتدلا، وفي حسن الظّن بها مقتصِّدا،....» (المصدر نفسه، ص:93). ومنه يؤكد على مبدأ الإفهام لدى المُرسل لتبليغ المقاصد وإيصال المعاني، يقول موضحا أهميّة الإفهام في تبليغ الغاية: «كل من أفهمك حاجته من غير إعادةٍ ولا حُبسةٍ فهو بليغ» (الجاحظ، 1998، ص:113). لذا فهو يؤكّد أنّ البلاغة قائمة على «**حسن الإفهام**» الذي يؤدي إلى إيصال المعنى.

ب-المُرسل إليه: يُعد المرسل إليه الطّرف الثاني الفاعل في عمليّة التّواصل، إذ لولاه لما وُجد التّواصل أصلا. إذ يكمن دوره الأساسي في التّفاعل مع المُرسل عن طريق الاستماع إليه والإصغاء له بشكل حسن، حتّى يبلغه أنه متواصل معه. ولأنّ البلاغة أساسها إيصال المعاني للمتلقي، فإنّ الجاحظ يرى أنّ البلاغة: «...، منها ما يكون في السّكوت، ومنها ما يكون في **الاستماع**،...» (الجاحظ، 1998، ص:116)، وهذا عنده دليل واضح على التّواصل مع صاحب الرّسالة وتبليغه بذلك.

ج- الرّسالة: تعد الرّسالة جسر التّواصل القائم بين المُرسل والمُرسل إليه فهي النّاقلة للمعنى المراد إيصاله وتبليغه، معتبرا البلاغة متوقف أمر وصول المعنى فيها على الفهم والإفهام، بالقول: «.. لأنّ مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسّامع إنما هو **الفهم** و**الإفهام**» (الجاحظ،1998ص:76)، وهذه الأخيرة مكونة من عناصر أساسيّة تتمثل في الألفاظ والمعاني التي بهما تحقق تلك الغاية، ولذا خُصّت هي الأخرى بجملة من الشّروط المتمثلة في:

ج-1: ضرورة تخيُّر اللفظ: يرى الجاحظ أنّ البلاغة إنّما «هي تخيّر اللفظ في حسن الإفهام» (الجاحظ، 1998، ص:113)، والأمر عنده لا يقف عند مسألة تخيّره فحسب، بل لابدّ له من شروط أثناء العمل على انتقائه، تستبعد كونه عاميّا، وساقطا، وسوقيّا، أو أن يكون غريبا وحشيّا. ويضيف قائلا في موضع أخر: «ومن علم حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحالُ

وفقا، ويكون الاسم لا فاضلاً [ولا مفضولا]، ولا مُقصِّرًا، ولا مشتركا، ولا مضمّنا، ويكون مع ذلك ذاكرًا لما عقد عليه أوّل كلامه، ويكون تصّفحه لمصادره، في وزن تصفحه لموارده، ويكون لفظُه مُوقنًا، ولهول تلك المقامات معاودًا» (الجاحظ،1998، ص:92-93).

ج-2: مراعاة المقامات: اعتبار المقامات وكذا أحوال المخاطَبين مسألة مهمة جدا في الدّرس البلاغي، والبلاغة مرتبطة بهما من حيث حسن إيصال المعنى وتحققه من عدمه. لذا يؤكد الجاحظ على وجوب مراعاة مختلف المقامات التّواصليّة بين الأطراف المتخاطبة. وذلك بضرورة معرفة حالات المخاطبين، ومعرفة أقدار المعاني، ثم العمل على توزيع تلك المعاني بحسب طبقات النّاس وأحوالهم وأقدارهم حتى لا يختل التّوازن. (الجاحظ، ص:138-139).

ج-3: استعمال الحجج: من شأن الحجج أن تقوي الرّسالة وتبقي جسر التّواصل متينا وفعالا بين الطّرفين قصد الإقناع والتّأكيد والتّأثير، كون الحجج لا يُعمد إليها إلا لأجل غاية تواصليّة. لذلك يربط الجاحظ البلاغة بمدى اعتماد الحجج، وهو ما تؤكده الدّراسات الحديثة من أنه «**لا تواصل بلا حجاج، كما أنه لا حجاج بلا تواصل**» (طه عبد الرّحمن، د.ت، ص:5).

ج4-الإيجاز: يرى الجاحظ بأن الرّسالة منطوقة كانت أم مكتوبة ينبغي أن لا يطال الكلام فيها حتى لا يمل ويستثقل المستمع، ومن ثمة ينقطع جسر التّواصل بين الطّرفين. وعليه، فقد ثمّن نوعيّة الكلام المقدّم، معتبرا خير «الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه» (الجاحظ 1998ص:83).

ج 5: تضمن الرّسالة لمعنى مقصود: الرّسالة مهمّة جدا في تحقيق المراد إيصاله من معانٍ، والتي لا تحمل معنى وهدفا لا يتحقق فيها التّواصل بين الطّرفين، لذلك يقول الجاحظ: «لا خير في كلام لا يدل على معناك، ولا يشير

إلى مغزاك، والى العمود الذي قصدت والغرض الذي إليه نزعت» (الجاحظ 1998، ص:116).

4 -2-التّواصل عند أبي هلال العسكري: ركّز أبو هلال العسكري في طرحه لقضيّة التّواصل على مقادير البلاغة والكلام التي تؤدي إلى إيصال المعاني وتحققها. فالمتمعن لكتابه يجد بأن حديثه عن التّواصل جاء مقترنا بالبلاغة، وأن هذه الأخيرة ترتبط هي الأخرى بإيصال المعاني للمتلقي مع ضمان تحقيق المعنى في نفسه. يظهر ذلك من خلال جمع آراء السّابقين حول مفهومها، وحدِّه لها بعد عمق نظر فيما أُلف بشأنها، حيث يقول: «البلاغة هي كل ما تبلغ به المعنى قلب السّامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن» (أبو هلال العسكري، 1952، ص:10)، موضّحًا في السّياق ذاته أنّ السّر في تسميّة البلاغة بهذا الاسم يعود في الأساس إلى كونها تعمل على إنهاء المعنى إلى قلب المستمع فيفهمه. وهو بهذا يؤيد رأي الجاحظ بخصوصها، بل ويؤكده. إلاّ أنّ العسكري جعل ركيزة التّواصل في أي عمل أدبي شعرا كان أم نثرا قائما على **حسن الصّناعة** فيه، وحسن الصّناعة متعلقة أساسا بآليات البلاغة المتوفرة لتحقيق خاصيّة التّواصل، لذلك يقول مبرزا الحاجة إلى أهميّة صناعة كل من المعنى واللفظ في الكلام: «إنّ الكلام ألفاظ تشتمل على معانٍ تدلّ عليها ويُعبّر عنها، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ، لأنّ المدّار على بُعد إصابة المعنى، ولأنّ المعاني تحلّ من الكلام محلّ الأبدان، وتجري معها مجرى الكسوة» (العسكري 1952، ص:69).

وتفسير قوله هذا، هو إنّ صناعة الكلام شعرا كان أم نثرا لا تكتمل إلاّ من خلال إصابة المعنى وتصحيح اللفظ مع المعرفة الحقّة بوجوه استعماله أيضًا.

إذ انطلاقا من صناعة الكلام، راح يهتم بالعناصر التي تجعل من التّواصل تواصلا فعالا من مرسل– مرسل إليه – رسالة، نجمل القول فيها فيما يلي ذكره:

أ–المُرسِل: يرى أبو هلال العسكري أنّ التّواصل الحقيقي ينطلق بالدّرجة الأولى من الذّات المرسلة، وهو في هذا يتّبع الجاحظ في الرّأي، حيث خصّه هو الأخر بجملة من الشّروط والمتمثلة في: رباطة الجأش، تخيّر اللفظ، حسن التّصرف، مراعاة المتلقي، الدّقة في المعاني، الاعتدال في اللفظ. (ساميّة بن يامنة، 2012، ص: 94–95).

ب–المُرسل إليه: هذا الأخير كونه الطّرف الثّاني في التّواصل والموجه له اشترط فيه أمرين اثنين اعتبرهما ضروريين هما: حسن الاستماع والقدرة على فهم محتوى الرّسالة التي وصلت إليه منطوقة كانت أم مكتوبة. (المرجع نفسه ص:130). فإذا ما توفّر هذان الشّرطان تحقق التّواصل الذي أُريد له أن يكون وبلغ المعنى المُراد.

ج–الرّسالة: تتميّز الرّسالة عنده باعتبارها الجسر الرّابط بين المرسل والمرسل إليه بجملة من الشّروط العامّة والخاصّة بالنّظر إلى طبيعتها مكتوبة كانت أو منطوقة.

ج–1–الشّروط العامّة للرسالة: إنّ الرّسالة عامّة –بغض النّظر عن جنسها الأدبي–لابدّ فيها من ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في النّفس مع وجوب العناية بالألفاظ بانتقائها وتخيّرها لتدل على المعنى وتكشف عنه جيّدا بالإضافة إلى وجوب مراعاة طبقات المخاطَبين، وإعطاء كل طبقة حقّها من المعنى منبها إلى أن المنفعة في الكلام لا تتحقق إلا بموافقة حال المخاطبين، مع الحرص على ما يجب لكل مقام من مقال. (العسكري، 1952، ص:131–135).

ج2–الشّروط الخاصّة بالرّسالة: تعود هذه الأخيرة إلى الرّسالة بين كونها مكتوبة أو شفهيّة (شعريّة)، حيث بيّن العسكري أنّ التّواصل في الشّعر مختلف

عنه في الكتابة عند الأدباء والكُتّاب عامّة، إذ لكل منهما معايير خاصّة مرتبطة بكيفيّة الصّناعة ومدى الحُسن فيها عن طريق المهارة والتّفنن في إصابة المعنى.

* **شروط الرّسالة الشّفويّة:** وهذا خاص بالنّص الشّعري، الذي يعتمد على المجاز لا الحقيقة، وأنّه محتمل للكذب، والشّعر من مميزاته أنّه متوارث عبر الأجيال وممتد في الزّمان وأنّ مواضيعه وأخباره متنوعة وله تأثير خاص على متلقيه. وهذه المسائل تستدعي من الشّاعر توفره على مهارة خاصّة في القول من أجل إقناع الغير والتّأثير فيهم. وذلك بمراعاة نظم المعاني المراد نظمها في فكره، والعمل على انتقاء الوزن الذي يناسب تلك المعاني، مع ضرورة تخيّر القافيّة التي تعمل على إحداث إيقاع خاص ليؤثر في الوجدان والنّفوس. ويعمل أيضًا على العناية بالأصوات حتى تؤدي حقّها من المعاني، وكذا العناية بالمقامات والأقدار وذلك بتقسيم المعاني حسب أقدار المقامات والمستمعين حيث إنّ لكل مقام مقال وهذا ما يجب توخيه ومراعاته.ولا يكتفي بهذا، بل يعمل على تنقيح الألفاظ وتهذيبها لتكون في أحسن صورة لها. (العسكري 1952، ص:137-138-139-141).

***شروط الرّسالة المكتوبة:** وهذه الأخيرة مرتبطة بالنّص النّثري من الرّسائل والخطب التي يجب من خلالهما المعرفة بقواعد اللّغة لأجل تصحيح الألفاظ وإصابة المعاني، إذ على الكتّاب العناية بالألفاظ وبالفواصل لضمان إحداث إيقاع يعمل على التّأثير في النّفوس ويجذبهم، كما عليهم أيضًا العناية بالمعاني عناية شديدة بتقسيمها على مقادير طبقات النّاس وقوتهم في المنطق ما يستدعي الاهتمام بكيفيّة نظم الكلام لتحقيق الغاية المنشودة، وذلك بمراعاة مقامات التّكرار والإطالة والإيجاز والذّكر والحذف والتّقديم والتّأخير والتّأكيد... أي إعطاء كل ذي حقّ نصيبه من اللفظ والمعنى حسب مقامات القول من شكر، ثناء، موعظة أو غيرها دون إطناب أو إخلال، مع تجنب كثرة الرّوابط

والصّلات في موضع واحد. بمعنى أخر العمل على إخضاع الكلام لجودة النّظم وحسن السّبك والرّصف بإحكام الصّنعة فيه لفظا ومعنى. (العسكري 1952، ص:136-153-154-161).

4 -3-التّواصل عند عبد القاهر الجرجاني (471هـ): في إطار تحديده لسر الإعجاز في القرآن الكريم والوقوف على تبيان وتفسير سبب عجز العرب عن الإتيان بمثله حين تحداهم، وكذا تبيانه لنظريته المشهورة (النّظم)، قد وقف على معيار التّفاضل والتّمايز بين مختلف النّصوص الأدبيّة، باتّخاذه نماذج ونصوص عدّة من كلام العرب شعره ونثره حتى يبين مواطن القوّة والضّعف والجودة والرّداءة والحسن والقُبح فيها، وهو بعمله هذا قد أسهم في إرساء قواعد للأدب من جهة وإبراز أوجه النّقد من جهة الذّوق من ناحيّة أخرى. فأبان بعمله عن المزيّة في التّباين والتّفاضل بين الأدباء والشّعراء، مؤكدا أنّ النّاس تتفاوت بلاغتها وفصاحتها من معيار أساسي ألا وهو **(النّظم)**، الذي يتّم فيه الاختيار والتّركيب، موضحا أنّ بناء النّصوص من حيث الجودة والإساءة والحسن والقبح راجع إلى طريقة النّظم المعتمدة والمختارة أثناء تركيبه.

فالنّظم حسب رأيه لا يقتصر على القرآن الكريم لوحده، بل يشتمل على مختلف أفانين القول من شعر ونثر وخطابة،... والمتتبع لكتابه يستطيع الخلوص إلى أن من بين المسائل التي ركزّ عليها وأولاها اهتماما حتى يرقى الأدباء والشّعراء في كلامهم ويتمكنوا من إيصال أغراضهم ما يلي:

أ-المُرسل: على المرسل أن يراعي في نظمه لكلامه قوانين النّحو وأحكامه وذلك بإخضاع الكلام لحسن النّظم فيه، حيث يذهب الجرجاني إلى أنّ السّر الكامن وراء الكلام البليغ والفصيح والجيّد أو الرّديء إنّما هو قائم على حسن النّظم، الذي هو البلاغة والفصاحة قائلا: "اعلم أنّ ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك، فلا تُخل بشيء

منها."(الجرجاني، 1992، ص:81)؛ أي يجب مراعاة حسن انتقاء الألفاظ والمعاني كون الألفاظ خادمة وأوعيّة المعاني وقوالبها، وأنّها يجب أن تكون مرتبة في التّركيب حسب ترتبها في النّفس، مع مراعاة التّوافق والانسجام بين الألفاظ والمعاني داخل سياقاتها التّركيبيّة لا خارجها من حيث هيئة الألفاظ وحركاتها وسكناتها ومواضعها. بالإضافة إلى **أهميّة المعرفة بمواضع الألفاظ** حيث نبّه الجرجاني إلى أهميّة العناية بمواضع الألفاظ داخل التّركيب من ترتيب وتقديم وتأخير وذكر وحذف وفصل ووصل، ومعرفة مواطنها وسياقاتها. وكذا العمل على **اعتبار المعاني** من حيث كون الكلام مباشرا أو غير مباشر واتّخاذ الطّريقة الصّحيحة لنظمه حتّى يصل المعنى إلى المتلقين، ويجود الكلام ويُتلقى بالاستحسان والقبول من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز، وهو الذي يسميه بالمعنى ومعنى المعنى، وهذا كله من شأنه التّأثير في البلاغة والفصاحة والتّبيان الذي يعمل على تحقيق وصول المعاني المراد إبلاغها كون النّظم معدن البلاغة (الجرجاني1992، ص: 262،186).

ب-المُرسل إليه: ركزّ الجرجاني بشكل كبير على دور المرسل إليه في تلقي النّصوص وفهمها وتحليلها وتذوقها ومن ثمة نقدها، وهو الأمر الذي أشارت له العديد من الدّراسات الحديثة التي عملت على إبراز أهميّة التّلقي ومدى فاعليته في حركيّة التّواصل، ذلك أنّ للمتلقي دورًا عظيمًا جدًا في تحليل عناصر الكلام وفهم طبيعة المقصود منه في أي تركيب لغوي مبني على نظم مختلف من استعارة ومجاز وكناية وتشبيه، يهدف من خلاله المرسل إلى إيصال غرض ما. وعلى المتلقي التّعمق والتّدبر في المعاني القريبة أو البعيدة المأخذ وقد كان حضور المتلقي بارزا في فكر الجرجاني أثناء إرساء نظريّة النّظم وربط هذه الأخيرة وتطبيقها على الأدب والبلاغة والنّقد من خلال جملة من المصطلحات الدّالة والموحيّة على تفاعل المتلقي مع المرسل، نذكر على سبيل الذّكر لا الحصر: **(التّدبر -التّأمل -التّخير -التّخيل -تروق -تؤنس-**

القبول –**الاستحسان** –**الذّوق**–**النّاقد**....) وغيرها من الألفاظ التي تشير إليه سواء أكان ذلك بشكل مباشر مقصود أم غير مباشر. (ينظر: عبد العزيز جابا الله، محجوبة البفور، 2013، ص:157–158).

ج–الرّسالة: التي تحمل كلاما لابدّ هي الأخرى بالنّسبة لعبد القاهر الجرجاني أن تكون متّحدة الوضع لفظا ومعنى، دقيقة الصّنعة، مسبوكة سبكا واحدا، مع الحرص فيها على احترام التّرتيب وتوخي الإعراب ومعاني النّحو في معاني الكلم، فهو يرى أن النّحو والبلاغة يعدان بمثابة اللحمة لصناعة الكلام. (الجرجاني،1992ص:80–93–362–412).

5. خاتمة: خلصنا من خلال ورقتنا البحثيّة هذه إلى أنّ التّواصل مسألة مهمة جدا عند بلاغيينا القدامى، فهي مرتبطة بمعاني الكلام، حيث لا يخلو أي كلام –مهما كان جنسه شعرا أو نثرا–منها، إذ أظهر كل من الجاحظ وأبو هلال العسكري وكذا الجرجاني أن إيصال المعاني المختلفة متوقف على أداء الأطراف المتواصلة (مرسل –مرسل إليه–الرّسالة) دورها على أكمل وجه.

وقد اتّضح لنا أيضا:

– أنّ التّواصل عند الجاحظ في أي نص أدبي شعرا كان أم نثرا ركيزته **البيان** وأساسه هو إقامة مبدأ **الفهم والإفهام**؛

– بينما يرجع التّواصل عند العسكري في الشّعر أو النّثر إلى ركيزة خاصّة تتجلى في **حسن الصّناعة** في الكلام، والحسن فيها نابع من المهارة والتّفنن المؤسّس على تخير اللفظ والمعنى والوزن والقافيّة والأصوات في الشّعر، أمّا في النّثر فإنّه ينبني على آليات البلاغة ومقادير الكلام مراعاة مقامات الذّكر المختلفة وأحوال المخاطَبين. في حين نجد أنّ التّواصل عند عبد القاهر الجرجاني يرتكز على حسن **النّظم وجودته** وأساسه مبني على **اتّباع قوانين النّحو** وأحكامه وعدم الخروج عنها، كي لا يختل المبنى الذي يؤدي إلى اختلال المعنى، فلا يصل إلى متلقيه على النّحو المراد.

ومنه نستخلص، بأنّ عمليّة التّواصل اللّغويّ تقتضي من خلال الآراء السّابقة الذّكر البيان(الوضوح) عن طريق حسن الصّناعة وحسن النّظم جهة الألفاظ والمعاني، مع مراعاة مقامات الذّكر المختلفة.

. قائمة المصادر والمراجع:

-أوكان عمر(2001)، اللّغة والخطاب، دار إفريقيا الشّرق، بيروت، لبنان.

-بومزبر الطّاهر بن حسين(2007)، التّواصل اللساني والشّعريّة، الدّار العربيّة للعلوم بيروت، لبنان، ط1.

-الجاحظ أبو عثمان (1998)، البيان والتّبيين، تح وتع: عبد السّلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7.

-جابا الله عبد العزيز والبفور محجوبة(2013)، التّلقي عند عبد القاهر الجرجاني: مفهومه، تجلياته، وإشكالاته، مجلة الباحث، ع13، أوت 2013.

-الجرجاني عبد القاهر(1992)، دلائل الإعجاز، تع: أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني، القاهرة، ط3.

-جاكبسون رومان (1988)، قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدّار البيضاء، المغرب، ط1.

-ابن جني أبو الفتح عثمان(د.ت)، الخصائص، تح: محمد علي النّجار المكتبة العلميّة د.ط.

-الحمداوي جميل(2015)، التّواصل اللساني والسّيميائي والتّربوي، شبكة الألوكة، ط1.

-ساميّة بن يامنة(2012)، الاتّصال اللساني وآلياته التّداوليّة في كتاب الصّناعتين لأبي هلال العسكري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1.

-شاميّة أحمد(1995)، خصائص اللّغة العربيّة والإعجاز القرآني في نظريّة عبد القاهر الجرجاني اللّغويّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، بن عكنون الجزائر.

-طه عبد الرّحمن(د.ت)، التّواصل والحجاج، مطبعة المعارف الجديدة الرّباط.

-العسكري أبو هلال(1952)، الصّناعتين: الكتابة والشّعر، تح: محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1.

-عزوز أحمد(د.ت)، المدارس اللسانيّة، دار آل الرّضوان، وهران الجزائر ط2.

-فاطمة الطّبال بركة (1993)، النّظريّة الالسّنيّة عند رومان جاكبسون: دراسة ونصوص، بيروت، لبنان، ط1.

-الفيروز آبادي(2008)، القاموس المحيط، مراجعة: أنس محمد شامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة.

- ابن منظور جمال الدّين (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، د.ط.